البتكوين.. العالم المشفر

أيمن عبد الدايم

باحث ماجستير إقتصاد إسلامي بالمعهد العالي للدراسات الإسلامية

كانت عملية الإنتقال من مرحلة المقايضة لعصر النقود نقلة نوعية كبيرة ساعدت على اتمام المعاملات المالية والإقتصادية بشكل أسهل وأسرع؛ شجعت الإنسان على المضي قدماً فى طريق التطوير والتحديث في أشكال وأنواع النقود لمزيد من السرعة والسهولة في إتمام كافة أشكال المعاملات المالية لزيادة معدلات النمو والإستثمار والتبادل التجاري المحلي والدولي؛ فكانت النقود السلعية، ثم المعدنية فالورقية، وصولاً لمحطة النقود الإفتراضية.

هل كانت المحطة الأخيرة للنقود وهى محطة النقود الإفتراضية مرحلة من مراحل التطور على الصعيد النقدي والمالي دعت اليها حاجة العصرالإلكتروني والرقمي وإستدعتها ظروف العصر وأدواته؟ أم أنها مجرد ظاهرة وشكل من أشكال المضاربات المشبوهة؟!؛ حيث لم يخطر ببال مبتكرها أي مساهمة أو مشاركة فى وصول القطار النقدي لمبتغاه وهدفه حيث الوصول لقمة النضج النقدي والمالي وقمة الجبل.

والتصور الأخير تؤيده بعض الشواهد الخاصة بتلك الظاهرة منها على سبيل المثال الغموض الذى يحيط بمبتكر تلك العملات.. الياباني ساتوشي ناكاموتو.

أطلق ساتوشي أول نسخة من برنامج عمل البيتكوين عام ٢٠٠٩م أي بعد سنة من كتابته لمجموعة القواعد التي تساعد على التعامل مع البرنامج، وأرسلها ببريد مشفر لبعض المواقع الإقتصادية، ثم ترك الرجل عالم العملات الإفتراضية وتفرغ لأعمال أخرى!! – هكذا كتبت بعض المواقع – ليكون برنامج البتكوين ملكاً للجمهور بلا صاحب ولا قائد!! حيث الناس تصدر العملات.. وتحدد قيمتها.. وتتبادلها فيما بينها؛ فانتبهوا أيها السادة؛ فالطائرة المتوجهة خارج المدينة بلا قبطان وعلى جميع الركاب ربط حزام الأمان وتوخي الحذر!! والمسؤول عن الطائرة الآن هم ركابها؛ فلا قيادة، ولا دولة لا مكان للهبوط !!

وقد نشطت الصحافة فى البحث عن الشخصية الحقيقة المخترعة للعملات الجديدة، من هو هذا الساتوشي؟!.. أعلن دونالد ترامب رئيس الولايات المتحدة أنه هو ساتوشي في ابريل ٢٠١٧ ومن قبله شخصيات كثيرة قامت بفرقعات من هذا النوع كـ(كريغ رايت) رجل الأعمال الإسترالي؛ لكن ثبت كذب الجميع بعد فشلهم فى الإجابة على كثير من الأسئلة الدائرة حول العملة المشفرة.

صمم البرنامج.. كتب القواعد.. رحل فى صمت..

المخترع مشفر.. العملة مشفرة.. الحسابات مشفرة.. العالم المشفر..

رغم ذلك قفز سعر العملة إلى سعر ١٦ ألف دولار لوحدة البتكوين لتصبح أقوى عملة فى العالم.. لتحتل جزءا كبيراً من ثروة العالم.. فهل تشفر كل ثروات العالم المالية؟! وهل تختفي كل أجهزة الرقابة؟ أم تستعين الأجهزة الرقابية بمخترقين وقراصنة وجواسيس؟!

إن الغموض يحيط بالنظام كله من المؤسس للمالك مروراً بالوسطاء والمقامرين.. وقد يكون سبب الغموض والتخفي الخوف من أباطرة النظام النقدي العالمي والمؤسسات التي تقف خلفه والدول الكبرى التى تحميه! فهل هذا الغموض هو أحد الأسباب الرئيسة للقفزات السريعة فى أسعار تلك العملات؟! أم سيكون السهم القاتل للظاهرة برمتها؟

يبقى السؤال فى أى مرحلة من مراحل تطور النقود غاب الرفض والتشكيك من قبل الحكومات والشعوب في اهمية الخطوة الجديدة؟ بل فى سوء نية القائمين عليها أنفسهم؟!

فالدولار القائد الكبير للعملات الورقية تعرض لهزة عنيفة بعد قرار (نيكسون) فك إرتباط الدولار بالذهب وهو ما يعرف بـ(صدمة نيكسون) خاصة أن الدولار كان العملة الدولية الرئيسة في نظام (بريتون وودز).. وهيمن الدولار حينها على كل تعاملات العالم الإقتصادية.. بل كان محور النظام كله.. الشمس ومن حولها كل النجوم.. القاعدة الخرسانية التى تم عليها باقي البناء العملاق الجديد.. الواجهة الإقتصادية للدول المنتصرة فى الحرب العالمية الثانية.

اهتزت الثقة فى العملات الورقية بشكل كبير، وتجمعت حمم البركان منذرة بإنفجار وشيك رغم وقوف الولايات المتحدة بثقلها السياسي والإقتصادي وراء الدولار ومحاولة فرضه على العالم فرضاً.. هنا بدأت الأيادي الخفية تقوم بدورها المعهود.. انتهى عالم الاتفاقيات الرسمية ليبدأ عالم الاتفاقيات المشبوهة والسرية.. فما كان لعملة دولة ما مهما كانت قوتها أن تسيطر على كل العملات وكل المعاملات كل تلك الفترات بدون الدور الرئيس لتلك الأيادي الخفية وتلك الصفقات المشبوهة.

ساعدت الاتفاقية التي عقدت بين أمريكا والسعودية على وقف التدهور السريع الذي حدث للدولار بعد صدمة (نيكسون) حيث سارعت كل الدول للتخلص من الدولار الأمريكي بأي ثمن تقليلا لحجم الخسائر المتوقعة ومحاولة استبدال الإحتياطي النقدي الدولاري بأصول أخرى ذات قيمة حقيقية ملموسة أو سلة عملات

جديدة؛ فقرار الحكومة الأمريكية غير المسؤول أفقد العالم الثقة فيها وبعملتها، وجاءت الاتفاقية الجديدة التي ربطت بين الدولار الأمريكي والبترول السعودي والخليجي من بعد، لتعيد الثقة فى الدولار مرة أخرى كعملة وحيدة قادرة على شراء الذهب الأسود من دول الخليج.

ولعل هذا ما يمثل أكبر تحدٍ أمام العملات الإفتراضية الجديدة حيث لا حماية بواسطة حكومات قوية ودبابات وطائرات ورشاوي وعمولات من أي مصير أسود يواجهها !!.. فنظام العملات الإفتراضية والرقمية يقف عارياً وحيداً ينتظر من يتبناه أو من يطلق عليه الرصاص !!

الأيام القادمة ستجلي لنا كل تلك الحقائق بخصوص العملات الإفتراضية ومدى قبول المجتمع لها.. وهل ستكون مرحلة جديدة وهامة من مراحل التطور النقدي والمالي أم فقاعة، وظاهرة ليس إلا، ستختفي كما تختفي كل الظواهر عديمة القيمة والمعنى؟

وهل يمكن إصدار عملة رقمية جديدة تخدم وتوحد العالم الإسلامي والعربي؟ أم سيقف العالم الإسلامي والعربي كعادته أمام الظاهرة لا يحرك ساكناً حتى ينتهي العالم الغربي من بلورة الظاهرة بشكل كامل على شكل قوانين رسمية، ويتم بناء الهيكل الخارجي لها، ثم يقدمها للعالم في ثوب جديد من إختراعه، نكون نحن من أواخر المدعوين على حفل الإفتتاح !!